DOI:10.52113/uj05/022-15/2395-2410 ISSN : 2072-6317(P) - 2572-5440(O)

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية

مجلة اوروك للعلوم الانسانية

موقع المجلة: www.muthuruk.mu.edu.iq

علم الجغرافية وفلسفة البعد المكاني

ابتهال عبد علي الحميداوي*

جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الانسانية

معلومات المقالة

تاريخ المقالة :

تاريخ الاستلام: 2022/6/26

تاريخ التعديل : ------

قبول النشر: 2022/8/10

متوفر على النت: 2022/11/15

الكلمات المفتاحية :

الجغرافيا ، فلسفة ، البعد ، المكاني .

الملخص

يناقش البحث العلاقة بين علم الجغرافية والمكان الذي يوصف بأنه الوعاء الفكري للحيز او المجال المكاني ، فالمكان بحد ذاته لا يمثل ظاهرة ، وإنما أطار فكري ومفهوم مجرد لا وجود له في الحقيقة ، وإنما مرتبط بحاستنا البشرية لأننا لا نستطيع أن ندرك الأشياء الا متحيزة في المكان ومتعاقبة في الزمان. فالمكان يتكون من أربعة أبعاد يرمز لها بأربع متغيرات هي (الطول ، العرض ، العمق ، والزمن)، وهذه الأبعاد ضرورية لتحديد أي ظاهرة جغرافية ، والدليل على ذلك اشارة الدراسات الفكرية لعلم الجغرافية بأنه علم المكان (Science of Space)، فالنظرة المكانية متواجدة منذ القدم ومرتبطة به على الرغم من ديناميكيته المتغيرة في المحتوى والاهداف والمناهج التي كانت من اسباب تطوره الا انها لم تخل بوظيفته ومجالات اهتمامه ، وهي دليل قاطع نحو فهم المنظومة المكانية والمركب المكاني من قبل الجغرافيين ، ولإعطاء فكرة واضحة وعلمية للجغرافيين الناشئين عن هذه العلاقة التي اصبحت هدف البحث الذي بدأ بمقدمة احتوت الاطار النظري ، بينما تضمن المحتوى اربعة فقرات الأولى حول تنامي الفكر الفلسفي للمكان ، والثانية تناولت تطور فكرة الاقليم الجغرافي ، والثالثة درست المعالجة المكانية في الدراسات الجغرافية، اما الفقرة الرابعة فناقشت العلاقات المكانية والتنمية الاقليمية، وقد خلص البحث الى استنتاجات متعددة من أهمها أن هناك علاقة قوية بين علم الجغرافية والمكان لأنه يمثل المجال او الحيز الذي تتحدد فيه الظاهرة المدروسة ، حيث تجد الجغرافية ولاسما منها الاقليمية والتنموية نفسها فيه بكل حدودها وعلاقاتها المكانية والزمانية وحتى معالجتها للظواهر وتحليلها يكون في اطار المكان بأبعاده الأربعة التي يجب على اي جغرافي تحديدها لبدأ دراسته والوصول الى الفرضيات ثم التعميمات ثم النظريات وربما قد يصل الى القوانين.

©جميع الحقوق محفوظة لدى جامعة المثنى 2022

المقدمـة:

يدل تاريخ فلسفة علم الجغرافيا على وجود جدلية واسعة حول مفهوم المكان فيه ، اذ ان النظرة المكانية للجغرافيا موجودة منذ (همبولت وريتر الى هنير الى هارتشون) وربما ابعد من ذلك تمتد الى حضارات قديمة غربية وشرقية وصولاً الى الجغرافية الحديثة والمعاصرة. فالمكان هو إطار التغيرات وتوزعها بل هو الوعاء الفكري للجغرافيا فعندما تتعدد ظاهرات المكان لا يعني ان العلم تعدد او تفرع بتعددها فالتفرع كما يبدو ليس تفرع الانشطار. ومما لاشك في ان الديناميكية المتغيرة لعلم الجغرافيا من حيث المحتوى والاهداف والمناهج كانت من اسباب تطوره على ايدي باحثيه وعلمائه دون الاخلال بوظيفة العلم ومجالات اهتماماته وقد اثبت الجغرافيون في كثير من الاحيان قدرتهم المتميزة على فهم المنظومة المكونة للمكان اي المركب المكاني الذي يمثل محور الاهتمام الجغرافي الطبيعي والبشري في اطار عمليات تخطيطية كثيرة حضارية وثقافية واقتصادية. لذا كانت ولازالت العلاقة الجدلية بين علم الجغرافية والمكان محور النقاش والجدل بين اصحاب فلسفة طبيعة علم الجغرافية ، لذا حاول الجغرافيين في الكثير من الدراسات الفلسفية تحديد مفهوم المكان وشخصية المكان وهندسته وتركيبه ، وان وضع

*الناشر الرئيسي : E-mail : ebtihal.abd1974@gmail.com

فقرة حدود البحث او الدراسة في الاطار النظري او المقدمة لأي دراسة جغرافية ، ما هو الا تأكيد على اهمية ابعاد المكان الفلسفية بالنسبة لها. وللوقوف على اهم تلك الآراء والافكار تبلورت فكرة البحث بإطارها النظري الآتي:

- **مشكلة البحث:** تصاغ مشكلة البحث على شكل تساؤل على النحو الآتي: (ما هي العلاقة بين علم الجغرافية والابعاد المكانية الفلسفية؟ وهل ان مفهوم مصطلح المكان ذو دلالة علمية حول محتوى ومضمون هذا العلم؟. وما علاقته بالزمن في تحديد المعالجة المكانية للظاهرة؟.)
- **فرضية البحث :** ان الاجابة عن مشكلة البحث بحد ذاتها هي فرضية علمية تسقى من بيانات تحليل المشكلة وتفسيرها فتكون اجابة اولية للتفكير المنطقي العلمي حول تقديم الحل الافتراضي لتلك المشكلة وهنا توضع الفرضية على النحو الآتي: (وجود علاقة بين علم الجغرافية من حيث محتواه ومضمونه والابعاد المكانية الاربعة متمثلة "بالطول والعرض والعمق والزمن" فلا يمكن ان تكون هناك دراسة جغرافية اقليمية تنموية ليست من ضمن تلك الابعاد الفلسفية للمكان والمهمة في اي معالجة مكانية للظاهرة الجغرافية).
- **هدف البحث واهميته :** يهدف البحث الى مناقشة العلاقة الجدلية بين علم الجغرافية والمكان الذي يوصف بأنه الوعاء الفكري للحيز او المجال المكاني ، وهذه الأبعاد ضرورية لتحديد أي ظاهرة جغرافية ، لذا تنبع اهمية البحث من أهمية المكان في الدراسات الجغرافية فالظاهرة الجغرافية لا يمكن دراستها وتفسيرها وتحليلها وتوزيعها الا بعد ان نحدد مكانها ، إذ ان تحديد المكان له اهمية كبيرة في اتمام المعالجة المكانية لأي ظاهرة جغرافية بشكل دقيق ، وربما يضيف الزمن دقة عالية للبعد المكاني ليصبح بعداً (مكانياً – زمانياً) لذا ومن هذا المنطلق ينبغي على اي جغرافي تحديد المكان بأبعاده الأربعة بشكل دقيق لبدأ دراسته الجغرافية والوصول الى الفرضيات ثم التعميمات ثم النظريات وربما قد يصل الى القوانين.
- **منهج البحث:** ان منهج البحث العلمي الذي اعتمده البحث الحالي هو المنهج العام للجغرافية متمثلاً في منهج التحليل والربط ، كما اعتمد على الطريقة الاستقرائية ومن ثم الاستنباطية لتحقيق الفرضية العلمية للبحث من خلال البحث والتقصي في المصادر والمراجع التي اعتمدها البحث لتحقيق هدفه.
- **حدود البحث:** تمثلت حدود البحث بما يأتي: الحدود الموضوعية وهي تشمل البحث الفلسفي في علاقة علم الجغرافية بالأبعاد الفلسفية للمكان ، اما الحدود الزمانية فقد تمثلت بالآراء الجغرافية الحديثة والمعاصرة وربما تطرق البحث لبعض الآراء لمفكرين جغرافيين في عقود سابقة لتوضيح الفكرة الفلسفية التي يسعى لطرحها وتحليلها وتفسيرها.
- **هيكلية البحث:** تضمن الهيكلية للبحث الحالي مقدمة تحوي الاطار النظري واربعة فقرات، الأولى تحدثت حول تنامي الفكر الفلسفي للمكان ، والثانية تناولت تطور فكرة الاقليم الجغرافي ، اما الثالثة فدرس المعالجة المكانية في الدراسات الجغرافية ، اما الرابعة فناقشت العلاقات المكانية والتنمية الاقليمية ، وخلص البحث الى استنتاجات علمية اردفتها الباحثة ببعض المقترحات لينتهي البحث بقائمة بأهم الهوامش والمصادر التي استند عليها البحث بالتحليل والمناقشة والتفسير.

أولاً: تنامي الفكر الفلسفي للمكان في علم الجغرافيا

1. مفهوم المكان:

ترد الكثير من المفاهيم لمفردة المكان في اللغة العربية ومنها (الامتداد ، البيئة ، الحيز، الخيلاء ، الفسحة ، الفضاء ، المحل ، الموضع ... وغيرها)، وهي تحمل دلالات ومعاني متنوعة منها ما جاء في القرآن الكريم بمعنى الموضع او المحل او بدل من او منزلة وهي من اهم المعاني المذكورة للمكان[1]. ومنها ما جاء في كتب المراجع

DOI:10.52113/uj05/022-15/2395-2410

اللغويين القدماء والمحدثين ، ولوضع صورة مفاهيمية واضحة حول هذه المفردة قبل الدخول في فلسفتها لابد من الاشارة الى ما تعنيه لغوياً واصطلاحاً وعلى النحو الآتي:

أ. المفهوم اللغوي: ذكرت معظم المعاجم اللغوية ان المكان في اصل تقدير الفعل (مفعّل) لأنه موضع لكينونة[2]، إذ ركز على معنى الموضع دون باقي المعاني ، ثم توسع المفهوم من وجهة نظر أخرى تحت مادة كمن وليس (مكن) أي كمن الشيء في الشيء ، وكمن يكمن كيوناً اذا توارى فيه الشيء الكامن ، ومنه سمي الكمين في الحرب ، وكل شيء استتر بشي فقط كمن فيه ، والمكان مكان الإنسان وغيره والجمع أمكنة[3] وايضاً اماكن بينما قرب اللغويين المحدثين المفهوم اللغوي للمكان من المفهوم الاصطلاحي له بأنه (الموضع الحاوي للشيء وهو عن اجتماع جسمين حاوٍ ومحوي).[4]

ب. المفهوم الاصطلاحي : اتخذ مفهوم المكان بعداً فلسفياً مع فلسفة اليونان ، ويعد افلاطون اول من صرح به استعمالاً واصطلاحاً إذ عده حاوياً وقابلاً للشيء ، في حين عده ارسطو ثالث خمسة اشياء مشتملة على الطبائع كلها وهي (العنصر والصورة والمكان والحركة والزمان)، وعد المكان عرضاً جوهرياً لأنه يمثل الحدود الداخلية غير المتحركة للشيء المحتوى[5]، اما العرب فآرائهم متعددة لفلسفة مصطلح المكان منها:[6]

1. ان المكان هو سطح الجسم الحاوي واشار الى ذلك كل من (الكندي والفارابي واخوان الصفا)
2. ان المكان بعد لا متناه واشار الى ذلك (الرازي)
3. ان المكان هو النهايات المحيطة بالجسم الطبيعي اي يحيط به لتكون ابعاده مع الجسم واحدة واشار الى ذلك (ابن الهيثم وابن رشد).
4. المكان هو السطح الباطن من الجرم الحاوي المماس للسطح الظاهر للجسم المحوي وهذا حسب رأي (ابن سينا).
5. ان المكان هو الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم تنفذ فيه الابعاد وهذا رأي (الشريف الجرجاني).

يتضح من تلك الآراء ان كلمة المكان لها الكثير من الدلالات بل هي اقتحمت العديد من ميادين المعرفة العلمية، إذ تتضح اهميته من خلال مساسه بوجود الأنسان ومتعلقاته الشيئية ، فضلاً عن رؤيته الخيالية والذاتية فهو مفهوم متقارب بين الذاتية والواقعية في مجمل الميادين العلمية. ومن اهم تلك المدلولات لمصطلح المكان بحسب تداخله مع العلوم هي:[7]

1. **علم الفيزياء:** يكون المكان متحركاً كما اثبت نيوتن وأينشتاين الذي اكد على نسبيته وعده غير ثابت لإمكان تأثره بالجاذبية. وبذا يكون المكان عند الفيزيائي ذاتياً لا واقعياً.
2. **علم الهندسة:** المكان هو وسيط غير محدود يشتمل على الاشياء وهو متصل ومتجانس لا تميز بين اجزائه وذو ابعاد ثلاثة هي الطول والعرض والارتفاع واذا جمع بين الزمان والمكان نشأ مفهوم جديد هو المكان الزماني ليصبح له ابعاد اربعة هي الطول والعرض والارتفاع والزمان.
3. **علم التاريخ:** فالمكان هنا له مدلول آخر بأنه يمثل الجغرافية والتاريخ معاً او بتعبير ادق أنه الجغرافية مسكونة بالتاريخ وبذلك ندرك العلاقة بين التاريخ والمكان من خلال حلتها الجغرافية.
4. **علم الاجتماع:** للمكان مدلول فلسفي بوصفه السياق الجغرافي والمعماري للسلوك فهو امتداد للجسد ومعبراً عن قانطيه.
5. **علم النفس:** يصنف المكان على أنه وسيلة من وسائل القياس تسهل التعامل بين الناس في حياتهم اليومية.

2. مصطلح المكان وعلم الجغرافية

تشير الدراسات الجغرافية الفلسفية بأن علم الجغرافية يختص بدراسة المكان ومتعلقاته بمعنى المحتوى المكاني على حد تعبير (مكارتي ولندريج) ، إذ يرتبط المكان في حد ذاته بالظاهرات التي يشتمل عليها ، ولكن ارتباطه بها هو فقط من حيث انه يحتويها ويحدد مواقعها ، ولفظ المكان يعني الامتداد الذي يأخذ الشيء في مداه ، ومن هنا وضع علماء الجغرافية في مختلف

DOI:10.52113/uj05/022-15/2395-2410

مراحل تطور هذا العلم التعاريف التي تربطه مع المكان الى ان وصلت في نهاية المطاف الى اطلاق تسمية علم المكان عليه. بل اشار بعضهم الى انه علم المكان لا الإنسان[8]. او هو المجال الجغرافي الذي يعنى بسطح الارض بأشكاله المختلفة أو اي جزء من سطح الارض صغر ام كبر ، فهو مجال مادي محسوس ومترابط ومتنوع ومتحرك فالمجال المكاني مجال محسوس واسع يمثل حقيقة منظورة وموجودة فعلاً وان الظاهرات فيه تحتل حيزاً أو سطحاً ومن الضرورة معرفة معطياته المحسوسة وتمثيلها بواسطة الصورة والخريطة[9].

يؤكد (لاينتز) ان المكان هو مجرد نظام للعلاقات وهو كنف واطار لها لتشكل البيئة والانسان لحمة المكان وسداه والحضارة نسيجه الذي حاكه التاريخ جيلاً بعد جيل على مر العصور والازمان ، وهذا المفهوم يتفق مع مفهوم (كانت وجامر) عن المكان في انه يتكون من (نظام للعلاقات بين الطاقة والمواد) فقد ذهب (كانت) في مقالته (نظرات في التقرير الصحيح للقوى الحية) الى ان الموجودات تتفاعل وان الامتداد المكاني يعتمد على هذا التفاعل كما عد الخاصية الاساسية للمكان هي كونه ثلاثي الابعاد ، وبعبارة اخرى ان طبيعة المكان وخاصيته الجوهرية ترتد الى القوانين التي تضبط قوى التأثير المتبادل بين الموجودات والتفاعل القائم بينهم ، وتجدر الاشارة الى ان (انشتاين) في نظريته النسبية يرى ان خصائص المكان تعتمد على طبيعة المادة الموجودة فيه اي انه يتفق مع نظرية (كانت) النقدية في المكان والتي اكتشف فيها وجود العلاقة بين خصائص المادة وطبيعته ، واذا عرفنا ان كل ما في الوجود يتألف من مادة وطاقة فانه يمكن القول ان ميدان الجغرافية يتحدد بخصائص المادة والطاقة وعلاقاتهما المتبادلة ، ومهما تباينت الآراء حول مفهوم المكان فلا شك انه يمثل الإناء الذي يصب فيه المجتمع ولا مفر من ان يتشكل به هذا المجتمع بدرجة او بأخرى ، فهو الاطار الفكري الذي يحدد تلك الشخصية على حد قول (دبنهام)[10]. وهنا نلحظ الارتباط الكبير والواضح بين مصطلح المكان والتخصص الجغرافي فلولا اهتمام الإنسان بدراسة المكان ومتعلقاته وخصائصه وتركيبه لما وجد علم الجغرافية.

ان التصدي لقضية المكان وتحديده أثار جدلاً جغرافياً بين زمرة المفكرين الجغرافيين ، وربما كان الحوار مفيداً ومثيراً ولكنه لم يصل الى قرار صحيح رغم ان هذا الجدل وهو جزء من التفكير الجغرافي الذ يصل الى المستوى العلمي الرصين لتكون كل قواعده العلمية الاساسية جاهزة لتحديد المكان في الاطار المحدود وان حيوية واهمية ذلك لا تتمثل فقط في تقصي القواعد والاسس بل ان جوهرها يكمن في ضرورة تجاوز مسألة المرونة التي يتحلى بها الاجتهاد الجغرافي ويمارسها بالفعل ، وهو ينتقل بحرية ودون اعتراض من الرؤية الجغرافية المحدودة في المكان المحدد ، الى الرؤية الجغرافية الكلية الشاملة في كل مكان لكي يعالج الجغرافي الظاهرة الجغرافية.[11]

افضى الاجتهاد الجغرافي العلمي الذي تصدى لقضية تحديد المكان وصياغة الحكبة الجغرافية على المستويات المتفاوتة الى تجسيد فكرة الإقليمية التي وضعها بشكلها العلمي الحاسم الذي استلهم فكرة الاقليم من العودة الى التراث الجغرافي في مراحل تاريخية مختلفة فالمكان هو ميدان الجغرافية وقد يكون واسعاً شاملاً لكل سطح الأرض او محدود المساحة. فتحديد المواقع والاماكن بدقة هو اول قواعد اللعبة الجغرافية ومهمتها ووظيفتها تتمثل في تحديد خصائص المكان المتعلقة ببنائه الطبيعي والبشري وما نتج عنه من حضارة.[12]

مما تقدم نستنتج ان العلاقة الجدلية بين مصطلح المكان وعلم الجغرافية هي علاقة ذات مساس مباشر بماهية هذا العلم ولاسيما انه يعتمد في دراساته بكل فروعها على تحديد المكان الجغرافي وهو ما افضى اليه الاجتهاد الجغرافي من خلال الرؤية الجغرافية للمكان وشخصيته وفلسفته وهندسة تركيبه ليجسدها في وضع الفكرة الاقليمية لتكون شاملة لأي دراسة جغرافية متكاملة تنموية.

DOI:10.52113/uj05/022-15/2395-2410

3. تنامي الفكر الفلسفي الجغرافي المكاني

تعرف فلسفة العلم بأنها كل تفكير يخص العلوم في جوانبها المختلفة المتمثلة في القوانين والفروض والمسلمات والرموز اي ان الفلسفة وظيفتها الدائمة هي نقل المعرفة المتكونة في انساق علمية بتحليل البناء العلمي للوقوف على حقيقة الاسس التي تقوم عليها طبيعتها وقيمها ففلسفة العلم هي كلام عن العلم بكل صنوفه[13]. لذا يمكن ان نناقش تطور الفكر الفلسفي الجغرافي المكاني عبر مراحل مختلفة من الازمنة ، إذ ان كل مرحلة منها وجد نوع من النمو او التطور في فلسفة المكان تشير الى تطور الأفكار الجغرافية. إذ نلحظ ان الأفكار الفلكية لدى الجماعات القديمة هي السائدة أكثر من الافكار المكانية عن الارض ، فقد شغلتها قبة السماء وما فيها من شمس وقمر ونجوم. اما معلوماتها عن مناطق الارض فكانت قليلة وترتكز على الكشف الجغرافي[14]، فقد تمكنت تلك الجماعات من معرفة قياس المسافات عن طريق الخطوات وقياس الزمن وجرت المحاولات لمعرفة خطوط الطول ودوائر العرض بأساليب أولية. ثم اتجهت الافكار حول معرفة شكل الارض التي يسكن عليها الانسان إذ اكد فيثاغورس على كروية الارض واكد في نظرية اخرى على ان الارض ليست مركز الكون ، بينما برهن هيكاتيوس على حركة الارض وحاولوا قياس محيطها كما اشاروا الى المساحات المأهولة من الارض وسموها (الجزء المعمور)، في حين اهتم العرب بعرض المكان لتحديد مواقع الظواهر والمدن مستفيدين من تجارب الاغريق معتمدين في القياس على ارتفاع النجم القطبي وارتفاع الشمس. ليصلوا الى اهم انجاز وهو وضع (الازياج) تلك الجداول الفلكية ذات الاهمية في تحديد طول وعرض المكان[15]. لتكون محور محتوى مؤلفاتهم الجغرافية الموسوعية.

بعد التطور الذي شهده علم الجغرافية في القرن التاسع عشر على يد اشهر علمائه وهما (همبولت وريتر) بانه العلم الذي يتميز عن باقي العلوم بتفرده في دراسة البعد المكاني للمتغيرات بأنواعها وهو ما لا يتخصص علم آخر بدراسته ، وان كانت بعض العلوم تنظر الى البعد المكاني لمتغيراتها احياناً ولكن ليس بوجد مظاهر او عوامل جغرافية مترابطة.[16] وفي ستينيات القرن العشرين ظهر اتجاه يقول بان الجغرافية علم مكاني كما اشار (اولمان عام 1953) بان الاضافة الرئيسة للجغرافية هو اهتمامه بالمكان وبالتفاعل المكاني.[17] ليؤكد ذلك هارتسهون بتعريفه للجغرافية بأنها علم التباين المكاني الذي انبثقت منه عدة اشتقاقات منها (ان الجغرافيا هي علم سطح الارض ، وان الجغرافيا هي دراسة العلاقات بين الانسان وبيئته الطبيعية . وان الجغرافيا هي دراسة مواقع الظاهرات على سطح الارض)، وهذه تنظمها بلا شك مدارس فكرية في الجغرافية هي (مدرسة مظهر الارض، والمدرسة البيئية (الايكولوجية)، والمدرسة الموقعية)[18]. وقد وضع (تشابمان) فكرة أخرى عن علم الجغرافية عندما تحدث عما اسماه بالنظرة السائدة للجغرافيا وهذه النظرة تركز اهتمامها على تداخل المكان والفضاء والزمان (Place, Space, and Time) ، وتكمن قيمة فكرته بانه ادخل عامل الزمن ، وهناك اتجاه متزايد في الجغرافيا لفصل الظاهرات عن سطح الارض وتحليل العلاقات المكانية هنا كان استعمال كلمة فضاء بل واكثر من هذا فان الجغرافيا تدرس الظاهرات في المكان او في الفضاء في مرحلة ما من الزمن سواء كان ذلك في الوقت الحاضر او اي مدة زمانية في الماضي[19]. وازاء هذه الصورة نرى من المناسب جداً ان تركز الجغرافيا على المكان ووحدته في اطار الكلية للأشياء بمنهجية علمية تمنح القدرة على التنبؤ لتحقيق غايات محددة ينفرد بها هذا التخصص الا وهي التنظيم المكاني والتنمية المكانية[20]

وهكذا نجد ان الجغرافيا لم تعد ذلك العلم الذي يهتم بوصف الظواهر بعيداً عن الواقع بل اصبح يتماشى والتطور العلمي الحديث المستند على التحليل والقياس والربط واستعمال النماذج والرياضيات الحديثة ونظم المعلومات الجغرافية ، وبذلك سار في الاتجاه التطبيقي وبدأت الجغرافيا تحتل موقعاً متميزاً بين العلوم خاصة في الدول المتقدمة كونها علماً تطبيقياً

DOI:10.52113/uj05/022-15/2395-2410

يعين صناع القرار والعامة سواء في فهم العديد من الظواهر داخل اي وحدة مكانية وخارجها في التنظيم المكاني والادارة المكانية والادراك المكاني. على الرغم من ان اشكالات علم الجغرافيا وأزمته الحقيقية هي في تحديد المفاهيم ومعالجة المحتوى من خلال التداخل والترابط مع الاختصاصات الاخرى في العلوم الطبيعية والبشرية الا ان مناهجها تبقى مستقلة وواضحة الاهداف ، فالجغرافي قاري كل شيء لكنه كاتب جغرافي فقط ، وبعبارة اخرى فان الجغرافي اعلم بمادتها في معالجتها وفلسفة نظريتها ، وهذا المنهج ببساطة ينقلنا بالجغرافيا من مرحلة المعرفة الى مرحلة الفكر او كما يقول ستامب ((ان الجغرافيا في ذات الوقت علم وفن وفلسفة))[21]. وهنا لابد من الاشارة الى ان استشعار المكان واستخدام الحس الجغرافي الذي صنع انتصار الحياة في المكان كان اسبق من استشعار الزمان واستخدام الحس التاريخي الذي تابع حركة او مسيرة انتصار الحياة في المكان ، ولكن الصحيح ايضاً ان هذا الاستشعار المبكر ، قد دعا الى قدر كبير من التداخل والخلط بين الاتجاهين الجغرافي والتاريخي مع مرور الوقت تطور الامر وافلح الانسان في صنع الخيط الرفيع الذي فصل بين الفكر الجغرافي والفكر التاريخي ومع ذلك فما زال الاحساس بالمكان مطلوباً في سياق الزمان وما زال الاحساس بالزمان مطلوباً في اطار المكان وان كانت الحياة وجود وتعايش وانتصار في المكان فان حركة الحياة مصير واستمرار وتقدم في الزمان.[22]

توجه البحث الجغرافي وانجازه كما اراد له الفكر الجغرافي الحديث الى العناية بالظاهرة الجغرافية احياناً او بالموضوع الجغرافي احياناً اخرى في المكان وفي الزمان ، وليس من الجغرافية من شيء ان تجري الدراسة او ان يجري البحث الجغرافي. دون الارتباط بالمكان والزمان ، فالمكان على صعيد الارض هو الذي يجد فيه المسرح الجغرافي والزمان هو الذي يحدد المدى الذي تجري فيه حركة الاحداث على المسرح الجغرافي، وسواء اكانت الظاهرة الجغرافية طبيعية ام بشرية وسواء كان الموضوع الجغرافي طبيعياً او بشرياً ، فلا بد من ان تكون الدراسة الجغرافية في المكان وفي الزمان بتحديد واضح لإبعادهما وقد لا يصلح البحث الجغرافي والدراسة الجغرافية التي تنجز بحثاً جغرافياً طبيعياً او بشرياً دون تحديد المكان تحديداً قاطعاً وحساب الزمان حساباً صحيحاً. وان من وجهة النظر الجغرافية لا يجوز ابداً التجرد من تحديد المكان او من حساب الزمان حتى لا تفقد مع انعدام للحبكة الجغرافية اوامر الصلة او العلاقات الحميمة بين الظاهرة الجغرافية المعنية او الموضوع الجغرافي في الوضع المناسب على صعيد الارض وبين الارض ومسرح الحياة وهو يشهد حركة الحياة الانسانية وفعل المتغيرات التي تأتي مع حركة الزمان[23].

يتضح مما سبق ان تنامي الفكر الفلسفي للمكان في الجغرافية قد مر بمراحل متباينة بحسب الافكار الجغرافية لكل مرحلة فأنتقل من الجمع بين الأرض والفلك الى تحديد الاماكن والمواقع الأرضية ومن ثم الى الفضاء ثم يدخل عنصر الزمان في المعادلة لتصل الى توافر ابعاد للمكان جميعها في الفكر الجغرافي الحديث الذي ركز على تحديد المكان وتنظيمه ودراسة تركيبه.

ثانياً: تطور فكرة الاقليم الجغرافي

تعد فكرة الاقليم الجغرافي قديمة اشارت لها معظم الافكار والآراء الجغرافية على مدى تطور الفكر الجغرافي ولاسيما في التراث الجغرافي العربي الاسلامي ، ولكن تطورها بالجغرافية الحديثة والمعاصرة بدأ مع تنامي الفكر الاقليمي الطبيعي عندما اشار الفرنسي (فليب بواشي) الى الاطر النظرية المكانية بعنوان (محاولة في دراسة الجغرافية الطبيعية عام 1576)، والتي اعلن فيها بان سطح الارض يتكون من احواض تفصل بينها حواجز من الخطوط المتصلة من جبال وحواجز مغمورة بالمياه ، وقد ثبت العالم الالماني (غابون) الفكرة في كتابه (مختصر الجغرافيا عام 1775) وجعل من السلاسل الجبلية اساساً لتقسيم الارض لأقاليم طبيعية وسار على هذا المنهج الجغرافيون الالمان واطلقوا عليه اسم (الجغرافية الصرفة) ومن اشهرهم (هومايير) الذي

DOI:10.52113/uj05/022-15/2395-2410

رفض الحدود السياسية وقسم مناطق العالم الى بقاع او اقاليم طبيعية متخذاً احواض الانهار للتقسيم ، ومثله الباحث (زونة) الذي اعتمد أساس التقسيم نفسه فضلاً عن عوامل اخرى مثل المناخ والنبات والتضاريس. فالجزء المنظور من المكان يعرف بالمظهر الطبيعي للعالم (الاندسكيب) وهو ما يمكن ادراكه (بالحواس) من المكان بصورة مباشرة الذي يتمثل في نمط خاص من تنظيم المكان ، وهو وليد العلاقة بين الطبيعة والانسان[24].

ركز الجغرافيون في دراساتهم على مفهوم مظهر الأرض ((اللاندسكيب)) والذي هو عبارة عن مركب من خصائص طبيعية وبشرية اعطت المكان سماته المميزة وخصائصه وشخصيته التي يعرف بها. وعلى الرغم انه لم يكن موحداً الا انه على الاقل يتميز بتكراره لبعض العناصر لذا يطلق عليه تسمية الإقليم الطبيعي ، ولكن الانسان وضع بصماته في كل مكان مما جعل القسم الاكبر من المظهر الأرضي يصبح بشري الطابع والمظهر والتركيب حتى لو فرضنا ان باستطاعة المرء اعادة بناء مظهر الأرض الطبيعي ، وتحديد خصائص البيئة الطبيعية فان العلاقات بين الاقليم الطبيعي والبشري في غاية التعقيد والتشابك ، فمبرور الزمن وتوالي الاجيال يتعاقب على المكان الواحد اكثر من مظهر ارضي مما جعل التأثير البشري قوياً لدرجة ان طابع البيئة الطبيعية يتغير تماماً ، ولذلك يمكن القول بان المظهر الأرضي يعكس حالة وقتية من العلاقات المتبادلة وتوازن غير ثابت بين الظروف الطبيعية والتكنولوجيا البشرية والاقتصادية والهياكل او البنيات الاجتماعية الديموغرافية.[25] ومن المفيد ان نشير الى ان المفهوم الاقليمي يلتقي مع المفهوم الذي يقول ان الجغرافيا تختص في دراسة العلاقات المكانية ، وهذا يلتقي مع مفهوم التوزيعات وبالتالي مع مفهوم الانماط طالما ان لكل توزيع شكلاً من الاشكال والنمط مظهراً من مظاهر النظام وان لكل نمط نظاماً مؤلفاً من عناصر كثيرة تتفاعل مع بعضها البعض ولكل نظام مدخلاته ومخرجاته ويظل النظام يعمل ما دامت حركة التفاعل والتدفق قائمة لأنها بمثابة الطاقة او الروح بجسم الكائن الحي والنظام بهذا الشكل والمفهوم يمكن ان نضيفه على جميع الدراسات الجغرافية وبذلك تصب الانماط في الانظمة التي تطفي عليها ويحل منهج الانظمة محل تحليل الانماط ، والنظام ليس غريباً على الجغرافيا فالإقليم بحد ذاته نظام مكون من عناصر او مكونات طبيعية وبشرية[26]

ان الشخصية الاقليمية هي اكبر من مجرد المحصلة الرياضية لخصائص وتوزيعات الاقاليم اي اكبر من جسم الاقليم وبحسب قول جمال حمدان ان الشخصية الاقليمية لا يمكن التوصل اليها الا بالنفاذ الى روح المكان لنستكشف عبقريته الذاتية التي تحدد شخصيته الكامنة ، وهذه هي فكرة الهيكل المركب عند الجغرافيين الامريكيين ، او ما يعرف كاصطلاح (علم عبقرية المكان) وبعبارة اخرى فان الشخصية الاقليمية تبدأ حين تنتهي دراسة الجغرافيا الاقليمية التقليدية بالمعنى الشائع ، ثم تتجاوزها لتمثل التنوع القمي والعلوي لها فهي اعلى مراحل الجغرافيا والفكر الجغرافي فالشخصية الاقليمية هي اكبر من مجرد المحصلة الرياضية لخصائص وتوزيعات الاقاليم ، فالجغرافيا الاقليمية هي ((وصف المكان في حين ان الشخصية الاقليمية هي فلسفة المكان))[27] اصبح في وسع الجغرافي وهو على بينة كاملة باستحالة التكرار او التماثل فيما تسفر عنه عناصر الطبيعة في المكان او فيما يسفر عنه حضور حركة حياة الانسان في المكان ، او فيما ينتهي اليه التفاعل الحياتي بين الانسان والارض في المكان ، ان يحدد الاقليم الذي يتميز في الصفة الجغرافية كما كان في وسعه ايضاً ان يصنع الاقليم المتميز اطاراً مناسباً يحتوي ويحدد المساحة المعنية المتميزة جغرافياً ، بل اصبح في وسع الخبرة الجغرافية العلمية ان تجعل من الاقليم الذي يتميز جغرافياً في المكان وحدة تقسيم اساسية ومن ثم يتأتى تغطية العالم كله وتقسيمه الى مجموعة كبيرة من الاقاليم[28]. هذه الميزة لدى الجغرافي جعلت منه صاحب رؤية

DOI:10.52113/uj05/022-15/2395-2410

جغرافية تسمح له بتحديد الرؤية المتكاملة للمكان مما يسهم في وضع الدراسات الجغرافية الاقليمية لتنمية الاقاليم واستدامتها.

ثالثاً: المعالجة المكانية في الدراسات الجغر افية

تخرج الجغرافيا من اطارها الوصفي المجرد الى الاطار العلمي الرصين من خلال المعالجة المكانية في الدراسات الجغرافية لتصل الى الموضوعية بعيداً عن الوصف المجرد ، ويمكن تحديد الابعاد التي تستند عليها المعالجة المكانية لأي دراسة جغرافية على النحو الآتي:

1. توزيع الظاهرة مكانياً:

يتناول هذا البعد الظاهرة والمكان اي توزيع الظاهرة الجغرافية المعنية طبيعية كانت ام بشرية توزعاً افقياً وانتشاراً في ربوع المكان ، ويكون الاجدر ايضاح الخصائص الذاتية او السلوكية العامة للظاهرة في الشروع بتوزيعها بما يشبه (التعريف بالظاهرة) المدروسة ومتى يكون التوزيع في ربوع المكان ذا جدوى يكون بمستوى توزيعي انتشاري بخلق انماطاً توزيعية مكانية او اشكال تجميعية متباينة من موضع لأخر بالمستوي الذي يتطلب معه ضرورة التفسير لإظهار التباينات.[29]

ان الظواهر الجغرافية المكانية تنتظم مع بعضها وتتفاعل وترابط لتشكل نمط ومن ثم بناء نظام متكامل متلاحم ، وعندما ترابط بالمكان تعطيه سمة مكانية منفردة ، والمتغير في المكان المحدد ظاهرة او خصيصة جغرافية هي واحدة في المكان الواحد وهي نفسها تتوزع في اماكن متعددة تتفاعل في المكان وتعطي انماطاً مكانية تتشابه برغم عن الامكنة ، وعندما تختلف الظاهرة المكانية من مكان لأخر يعبر عنها عادة بالاختلافات المكانية. إذ تطلق العلوم المكانية على الظاهرات بالمتغيرات لان التغير اهم صفة من صفات المعلومات المكانية ، فقد تكون الظاهرة ثابتة في مكان او زمان معين ثم تكون متغيرة بتغير الزمان والمكان ، ومن هذا المنطلق تتحدد فكرة التغير المكاني من وجهة نظر جغرافية ، الذي يقصد به الموقع النسبي للأشياء في حيز او مكان على سطح ما ، او بثلاثة احداثيات في حيز له ثلاثة ابعاد ، وكل ظاهرة على سطح الأرض تحتل حيزاً او مكاناً خاصاً تشغله في وقت معين لا ينازعها فيه احد ومن هذا الموقع الفريد تتجدد العلاقات المكانية وقيم التفاعل بين هذه الظواهر وغيرها من ظواهر اخرى تحتل مواقع مختلفة في الحيز والمكان ويكون دور الجغرافي هو المفسر لهذه الروابط والتفاعلات[30]

ان الدراسات الجغرافية المكانية تتناول الظواهر بكليتها في المكان من حيث ترابطها وتماسكها وتفسيرها وتطورها ، فتصل بذلك الى الكشف عن صورة المكان وتروي حقيقته فهي اقرب الى منحني الديالكتيك ، ولأن الدراسات المكانية تؤكد على سلوك الانسان في الاستجابة للبيئة في التكيف او الاستجابة للتغير وفعل الاثر في البيئة ، فأن توجه هذه الدراسات هو تأكيد كون الوعي انعكاساً للواقع الخارجي او انها سائدة لتجلي الوجه المادي دون المثالي ، فيعرف الواقع في هذا السياق على انه العالم الذي يمكن ادراكه بالحواس ، وان شأن الدراسات المكانية هو وصف واقع الظاهرات الطبيعية والانسانية كما هي بعد ان تكون قد اهتمت بتغيرها الذي اوصلها الى ما هي عليه من واقع وتحاول هذه الدراسات اعطاء نظرة محتملة عن مستقبل الظاهرات بمدى من درجات التغير كما تهتم بوصف وتحليل شبكة العلاقات بين الظاهرات في واقعها المتغير.[31] فالظاهرة في المكان رغم سمتها المتغيرة هي اول بعد للمعالجة المكانية فلا يمكن اجراء تنظيم مكاني او دراسة جغرافية بدون وجود ظواهر جغرافية قابلة للدراسة.

2. تحديد المكان الجغرافي:

تعد الدراسة الجغرافية موضوعية وتجاوب الهدف الجغرافي من خلال تحديد المكان ، إذ تتبرأ الجغرافية من اي بحث جغرافي يجريه الباحث دون تحديد واضح للمكان ، وتحديد المكان أمر لازم ولا مضر منه ، وهو الذي يحدد ابعاد المساحة المعنية الانسب التي تصنع الاطار الفكري للدراسة الجغرافية سواء توجهت هذه الدراسة الجغرافية الى الوجه الطبيعية او البشرية. وتصدى الاجتهاد الجغرافي لقضية تحديد المكان وبحث عن

DOI:10.52113/uj05/022-15/2395-2410

الكيفية التي يستوعب بها تحديد المكان ويجاوب اهتمامات الباحث الجغرافي وقد دار البحث حول هذه الاستجابة للباحث الجغرافي على مستويين هما: [32]

أ. المستوى الفضفاض حيث يهتم الباحث ويتناول الظاهرة الجغرافية في المساحة المعينة الفضفاضة على الصعيد العالمي ، او على صعيد القارة كلها .

ب. المستوى المحدود ، حيث يهتم الباحث ويتناول الظاهرة الجغرافية على المساحة المعنية المحدودة ، في ربوع المكان المحدد.

رغم ان التباين المكاني كان ولايزال موضع اهتمام الانسان منذ اقدم الازمان الا ان تحديد المكان للدراسة والتقصي كان هو الاكثر اهمية ، رغم أنه لاحظ وسجل هذا التباين في كل مكان وفكر في اسباب هذا التباين والاختلاف مع مرور الايام ، وهذا لم يزد في وسائل الملاحظة والقياس فحسب وانما زاد ايضاً في قدراته على تسجيلها وتصنيفها وعرضها وتحليلها وبذلك تحولت المعرفة الجغرافية الى مادة مسجلة بدقة وحقائق تصور الظاهرات التي تشغل مختلف انحاء الكرة الارضية . يقول الجغرافي الفرنسي (جان غوتمان) لو كان سطح الارض متجانساً (املس ككرة البلياردو) لكان من المحتمل اختفاء علم الجغرافية وبتعبير آخر لو توزعت الظاهرات الطبيعية والبشرية توزيعاً متجانساً متماثلاً على سطح الارض لما كانت هنالك جغرافية ، فلا تاريخ اذا لم تتغير الحوادث البشرية من يوم الى يوم ، لان التغير خلال الزمن هو الذي يجعل التاريخ فرعاً قائماً من فروع المعرفة ، ولا جغرافية ايضاً اذا لم تتغير الظاهرات من مكان الى مكان لان التغيرات المكانية هي التي تجعل الجغرافية فرعاً قائماً من فروع المعرفة[33]، ولكن المكان الجغرافي ميدان واسع الارجاء لا يمكن استيعابه دون تقسيمه الى اجزاء او اقاليم جغرافية وهذا التقسيم يعد وسيلة تساعد على معرفة العالم جملة انه مجرد اسلوب للتقسيم وطريقة لفصل ظاهرات مكانية معينة في اقاليم (طبيعية متميزة) مما يساعد على معرفتنا بالأجزاء التي يتكون منها المكان دقة وتفصيلاً والجغرافي في عمله هذا في تقسيم المكان الى اجزاء او (اقاليم جغرافية) شبيه بما يفعله المؤرخ في تقسيمه للزمان الى عصور متعاقبة بهدف البحث والدراسة .

3. التنظيم المكاني للظواهر

ان تعريف الجغرافية بانها علم المكان وتحديد مضمونها بدراسة خصائصه وعلاقاته ، وهو ما جعل كلمة (المكان Place) هي المحور الذي تقوم عليه العلاقة بين البيئة والانسان ، وقد اكد هذا المعنى نفسه الجغرافيان الامريكيان (سور وليلي) بقولهما: ((ان الجغرافيا لم تكن في يوم من الايام علم الانسان بل علم الارض او المكان))، وهذه الآراء ظهرت عند غيرهم من الكتاب من امثال (الكسندر وجيسون) اللذين اشارا الى هذا المفهوم والاهتمام بالمكان والتفاعل المكاني ، وفي عام 1970 حدث التأكيد على ان الجغرافية كتنظيم مكاني يعبر عنها بأنماط وعمليات، ويعتبر مفهوم النظام من احدث المفاهيم الجغرافية المتعلقة بالمنظومة المكانية والمنظومة هي مجموعة العناصر المكونة للبيئة والارتباطات المتبادلة بينها[34]، ويمثل الحيز (المكان) الطبيعي المادة الاولية الخام التي يتطلع كل مجتمع الى تنظيمها واعدادها بالشكل الذي يناسب مشاريعه واهدافه[35] وقد اشار هاريتشون بكل وضوح انه مالم تكتشف العلوم الطبيعية قوانين الطبيعة فهي لا تزيد على ان تكون مصنعاً كذلك مالم يوضح التاريخ العلاقات السببية فهو مجرد سرد للأحداث وما لم توضح الجغرافيا العلاقات السببية في المكان فهي مجرد انسكوبيديا[36] وقد حددا (كول وكنج) موضوع الجغرافيا بوسيلتين هما وسيلة الحيز ووسيلة الحجم فالوسيلة الاولى يمكننا بها ان نحدد ميدان الجغرافية على انه يشمل قشرة الارض وما يعلوها من غلاف غازي ، والوسيلة الثانية الحجم واحياناً يطلق عليه الوحدة ، ففي رأيهما ان الوحدة الجغرافية تختلف عن غيرها من الوحدات ولتوضيح ذلك فان كل شيء تدرسه الجغرافيا يمكن ان يكون وحدة قائمة بذاتها فالجبال والمنخفضات والسهول والهضاب والانهار كلها ظواهر وهي في نفس الوقت وحدات جغرافية

DOI:10.52113/uj05/022-15/2395-2410

(طبيعية) اما المدن والقرى فهي ايضاً وحدات جغرافية ولكنها بشرية والجغرافية فيها تدرس هذه الظواهر اما الوحدات تتناولها ككل متكامل وليس كجزء منفصل من الكل[37].

ان عامل التكامل في الجغرافية هو المكان ((اي ارتباط الظواهر التي تقع في نفس الوقت تقريباً والمرتبطة ببعضها في علاقات مكانية في ضوء الموقع النسبي ، اذ يعنى الجغرافي بالارتباطات المكانية للأشياء ولا يعنى بالأشياء المتقاربة من بعضها في مكان واحد فحسب بل بأشياء متباعدة عن بعضها جداً ، وبما ان مفهوم الجغرافية (كعلم العلاقات) يقارب مفهوم التكامل فليس من الغريب ان يعترف اتباعه على الدوام بأهمية العلاقات المكانية[38] إذ يعد ذلك من اخطر خصائص الجغرافية وهو البحث عن العلاقات بين مختلف هذه الظاهرات ثم تحليل الظاهرات الطبيعية والبحث عن علاقاتها بالنشاط البشري عامة ولان كانت الجغرافية بهذه الصفة علماً تحليلياً فأنها في نفس الوقت ايضاً علم تركيبي[39] ليثبت الجغرافيين من خلاله قدرتهم المتميزة على فهم المنظومة المكونة للمكان في اطار عمليات تخطيطية كثيرة حضارية وثقافية واقتصادية ليتجسد الاتجاه النفعي بشكل واسع في الابحاث الجغرافية لإبراز الجانب النفعي في الجغرافية[40] ومن هذا المنطلق يمكن تحديد البعد الثالث للمعالجة المكانية من خلال تحديد فلسفة الجغرافية واهدافها بنقطتين هما:[41]

الاولى: طريقة النظر الى الاشياء مجتمعة في علاقاتها المكانية واذا كانت هذه الطريقة مألوفة في بعض العلوم التي تجري دراستها على الطبيعة كعلم النبات والجيولوجيا فأنها تكاد تكون مجهولة في العلوم التحليلية بوجه عام ومثل هذه النظرة (لنوعية الاشياء مجتمعة) مما لا يمكن التشابه دون تعهد وتدرب فالخطوط التي يحيكها الجغرافي لا تقع العين عليها بيسر وسهولة .

الثانية: وهي اعظم شأناً لأنها تمثل الدور الذي تلعبه الجغرافيا دون غيرها من العلوم الاخرى وهي همزة الوصل بين الظاهرات الطبيعية والبشرية وهذا المنهج العلمي ينطوي بلا شك على صعوبات عديدة فهو يتطلب الالمام بالعناصر الطبيعية والبيولوجية ، كما يتطلب الاحاطة كالعلوم الاجتماعية.

يتضح مما تقدم ان التنظيم المكاني هو تعبير عن الظاهرات الجغرافية الطبيعية وعلاقتها بالمدى المكاني لتأثير الانسان وآلية تطابق الارادات التي بدونها تصبح الحياة الاجتماعية مستحيلة ، وهنا يأتي دور الجغرافية توحيد الظاهرات الجغرافية في المكان من وجهة نظر انسانية. وهي لا تهتم بالظواهر بذاتها بقدر ما يهتم بالعلاقات القائمة بينها لان ذلك يمكن الجغرافي من عمل التعميمات وبناء الفرضيات وفحصها ثم القيام بتوقعات مفيدة ، وتنظيم المكان يعني الترتيب الناتج عن توزيع الظاهرات وفق نمط خاص وهذا ما يعرف ببنية المكان والنمط يعني نظام توزيع ظاهرة معينة ومن ثم فهو شكل من الاشكال الهندسية والتنميط مفهوم تصنيفي يعني الترتيب والتنظيم بل هو اسلوب من اساليب التحليل وطريقة من طرق المقارنة الذي يؤكد على اهمية هذا البعد في المعالجة المكانية في الدراسات الجغرافية. وهنا يجب الاشارة الى محاولة الجغرافيين وضع بعض النظريات للتنظيم المكاني منها نظرية الأماكن المركزية لكرستالر ونظرية القطب النامي لفرنسوا بيير ونظرية التحليل المكاني او المجالي ونظرية التنمية الاستقطابية لفريدمان ونظرية المراكز والنواحي ونظرية الجغرفة او الخاصية الجغرافية وغيرها.

رابعاً: العلاقات المكانية والتنمية الاقليمية

تعد التنمية الاقليمية من الموضوعات المعاصرة واسعة الاهتمام في الدراسات الجغرافية التي تعتمد على المعالجة المكانية والتنظيم المكاني في موضوعاتها، فالمكان هو حجر الاساس في التفكير الجغرافي العلمي ، كما اتضح من فقرات البحث ، إذ يتم فيه حدوث التبادل والتفاعل في شتى مجالات الحياة. ويهتم الجغرافيون بالتنظيم المكاني للإنسان وفي العلاقة بين الانسان والبيئة ويبحثون عن الوسائل التي يحسنون بها استعمال الانسان للمكان والموارد ويؤكدون الدور الذي يلعبه التنظيم المكاني الامثل للوصول الى كيفية استخلاف الانسان

DOI:10.52113/uj05/022-15/2395-2410

على الارض والتنبؤات سواء كانت تفاضلية او تشائمية لمستقبل حياته على هذا الكوكب[42]

اوضح (ر. ي. د يكينسون) المعادلة بين الجغرافيا والمظهر الأرضي الطبيعي بقوله ((ان الجغرافيا يجب ان تكون دراسة للاماكن قبل ان تكون دراسة للشعوب))[43] ولم تهمل الدراسات الجغرافية المظهر الارضي البشري بعد ذلك فكانت الآراء تقودنا الى دراسة العلاقات المكانية لتحقيق تلك المعادلة بالشكل المثالي ، ولعل (شيفر) من الدعاة لمفهوم الجغرافية علم العلاقات المكانية. إذ يرى بانه لا يهتم بالأقاليم بحد ذاتها وانما يدرس العلاقات المكانية فيقول: ((ينبغي على الجغرافيا ان لا تولي اهتمامها الى الظواهر بذاتها وانما الى تنظيمها المكاني في المنطقة ، ان العلاقات المكانية هي مركز الاهتمام في الجغرافيا ولا شيء سواها)) ويتركز مفهوم العلاقات المكانية على افكار الحركة في المكان والتي تظهر في بعض الاصطلاحات مثل (التفاعل والتداول والتدفق والنقل) ومن ابرز الجغرافيين الذين كان لهم السبق في مثل هذه المصطلحات هو (كراو) الذي بين اهمية التفاعل الخاص بالعلاقات المكانية[44].

يرى الجغرافيين المعاصرين ان اقرب التعريفات للإقليمية ما ينص صراحة على دراسة اوجه التنوع والاختلاف من وجهة نظر اولى والشبه والتكامل من جهة اخرى[45] إذ تلقي الجغرافيا الضوء على معالم اقليم ما في الماضي والحاضر ، وتأتي صورة ماضي الاقليم من خلال دراسة الحفائر التي امكن العثور عليها فيه ، فهي تعين على دراسة الملامح الجغرافية التي سادت في الزمن الماضي ، وتأتي صورة الحاضر من خلال المشاهدة والملاحظة التي يقوم بها الجغرافي في الاقليم ، ويستطيع ان يعطي صورة مستقبلية لنفس المكان ، إذ ان التفكير الجغرافي الحديث لا يركز على دراسة المكان من حيث كونه صورة ساكنة ، وانما من حيث كونه صورة ديناميكية متحركة ومتطورة[46]

ساد مفهوم المكان على انه اصغر وحدة مجالية قابلة للدراسة الجغرافية من سطح الأرض ، وهذا يصب في مفهوم الاقليم سواء كبرت ام صغرت حدوده ، ففي الدراسات الاقليمية المجال هو الاقليم الذي تتيسر فيه ملاحظة ترابط الظاهرات مع بعضها وخلاله يمكن التعرف على مدى التشابه او التباين الذي يسود سطح الأرض ، وان الدراسة الاقليمية تجمع جدائل الدراسات العامة او المنهجية من العلوم الاخرى وتجعلها واحدة تظهر فيها اندماج العناصر الطبيعية والبشرية من اجل اظهار شخصية الاقليم[47]. ويأتي دور الجغرافي في التنمية الاقليمية من خلال استيعابه للواقع بشقيه الطبيعي والبشري وهذا ما حاول البحث التحقق منه في المباحث السابقة التي اكدت ان الاقليم الجغرافي يمثل وحدة من الأرض يتوفر فيها التجانس للظواهر ويمكن من خلاله تحقيق استثمار متوازن للموارد ونمو متوازن لكل القطاعات فالخبرة الجغرافية تضع الخلفية لعملية التخطيط التنموية من خلال ما يأتي:[48]

- اختيار الاقليم الانسب لكي يكون مسرحاً لنشاطات معينة دون غيره في ضوء المعطيات الجغرافية.
- الكشف عن المعوقات التي يفرضها الواقع الجغرافي.
- الكشف عن امكانيات الموارد البشرية في الحد من معوقات التنمية.
- الكشف عن امكانية مشاركة السكان في عملية التنمية.
- تقييم العوامل المتحكمة لعملية التنمية وتحديد العلاقات المكانية والوظيفية للظواهر.
- تحديد الموارد المستثمرة والكامنة في كل اقليم.
- يأخذ من جغرافية الماضي نتائج تخدم الحاضر وتصنع المستقبل.

تتمثل مقومات التنمية المستدامة بالإنسان والطبيعة والتكنلوجيا

مما تقدم يتضح ان المكان هو محور الدراسات الجغرافية وهو حجرها الاساس سواء كانت تلك الدراسات تبحث في

DOI:10.52113/uj05/022-15/2395-2410

العلاقات المكانية او الدراسات الاقليمية او في التنمية ، ولكن من الضروري الاشارة ان الجغرافي هو الشخص القادر على ادرك واحتواء تلك الدراسات بما يمتلكه من رؤية جغرافية شاملة للمكان تساعده في وضع الخطط التنموية عن طريق التنظيم المكاني للظاهرات الجغرافية في الاقليم عن طريق تطبيق بعض النظريات ذات العلاقة بالتنظيم المكاني والمعالجة المكانية لاكتشاف الملائمة المكانية لانتشار الظاهرة الجغرافية وتوزيعها بشكل متوازن.

النتائج

توصل البحث من خلال فقرات السابقة الى نتائج يمكن اجمالها بالنقاط الآتية:

1. توصل الى وجود علاقة جدلية قديمة وحديثة معاصرة بين علم الجغرافية من حيث محتواه ومضمونه والابعاد المكانية الاربعة متمثلة "بالطول والعرض والعمق والزمن" وهذا ما يتفق مع الفرضية العلمية التي وضعت في بداية البحث.
2. ان تنامي الفكر الفلسفي للمكان في الجغرافية قد مر بمراحل متباينة بحسب الافكار الجغرافية لكل مرحلة فأنتقل من الجمع بين الأرض والفلك الى تحديد الاماكن والمواقع الأرضية ومن ثم الى الفضاء ثم يدخل عنصر الزمان في المعادلة لتصل الى توافر ابعاد للمكان جميعها في الفكر الجغرافي الحديث الذي ركز على تحديد المكان وتنظيمه ودراسة تركيبه.
3. اكد البحث من خلال مناقشة آراء وافكار الجغرافيين القدماء والمحدثين انه لا يمكن ان تكون هناك دراسة جغرافية ليست من ضمن تلك الابعاد الفلسفية للمكان ، وربما يمكن القول من الاستحالة اطلاق تسمية دراسة جغرافية على تحليل علمي بدون ابعاد مكانية – زمانية وهنا تنبع الحاجة لهما في اي معالجة مكانية للظاهرة الجغرافية.
4. كشف البحث ان المعالجة المكانية هي نقلة حقيقية في الدراسات الجغرافية لتبتعد عن الوصف التقليدي لتدخل في مستوى العلمي الرصين وحدد البحث ابعادها الفلسفية بثلاثة نقاط هي توزيع الظاهرة الجغرافية وانتشارها في المكان وتحديد المكان الجغرافي والتنظيم المكاني للظاهرات الجغرافية.
5. المكان هو محور الدراسات الجغرافية وهو حجرها الاساس سواء كانت تلك الدراسات تبحث في العلاقات المكانية او الدراسات الاقليمية او في التنمية ، ولكن من الضروري الاشارة ان الجغرافي هو الشخص القادر على ادرك واحتواء تلك الدراسات بما يمتلكه من رؤية جغرافية شاملة للمكان.

المقترحات

1. ان الدراسات الفلسفية في علم الجغرافية والتي توضح مفاهيمه ومصطلحاته العلمية قليلة لذا تقترح الباحثة الاتجاه الى مثل تلك الدراسات لمساعدة الباحثين الجغرافية لتوسعة مداركهم حول علم الجغرافية بدل التخبط الذي يعانون منه في تحديد مضمون دراساتهم.
2. تقترح الباحثة الاستفادة من الجغرافي في مجالات علمية يكون له دور كبير فيها مثل التخطيط والتنمية لما يتمتع به من رؤية جغرافية تسهم في مساعدة صناع القرار لأحداث تنمية في اي اقليم جغرافي سواء اكان زراعي صناعي تجاري وحتى سياسي.
3. اظهار اهمية تحديد المكان والزمان في الدراسات الجغرافية فقد اثبت البحث انه لا ضرر منه بل العكس هو يضع الاطار النظامي للبحث ويقود المعالجة المكانية لتحقيق الفرضيات لتلك الدراسات ويمكن تعميمها على مناطق اخرى مشابهة او مقاربة لها.

هوامش البحث

(1) غيداء احمد سعدون شلال ، المكان والمصطلحات المقاربة له : دراسة مفهوماتية ، مجلة ابحاث كلية التربية الاساسية ، المجلد (11)، العدد (2)، جامعة ميسان ، 2011، ص243.

(2) ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي ، كتاب العين (مادة مكن في الجزء الخامس)، تحقيق : مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، 1982.

DOI:10.52113/uj05/022-15/2395-2410

(3) ابن دريد ابو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري ، كتاب جمهرة اللغة ، ج3 ، مادة (مكن)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، 1345هـ.

(4) غيداء احمد سعدون شلال ، مصدر سابق ، ص246.

(5) حسن مجيد الربيعي ، نظرية المكان في فلسفة ابن سينا ، ط1، تقديم: عبد الأمير الأعسم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1987، ص19.

(6) غيداء احمد سعدون شلال ، مصدر سابق ، ص247-248.

(7) المصدر نفسه ، ص245-246.

(8) صفوح خير ، الجغرافية موضوعها منهجها واهدافها ، ط1، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 2002 ، ص52.

(9) محسن عبد الصاحب المظفر ، فلسفة علم المكان (الجغرافيا) ، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان، 2005، ص64.

(10) صفوح خير ، مصدر سابق ، ص54 .

(11) صلاح الدين علي الشامي ، الجغرافيا المعاصرة ، ط1 ، منشأة المعارف للنشر والتوزيع ، الاسكندرية ، 1987، ص77 .

(12) الجغرافية في دائرة المعارف البريطانية ، ترجمة : عبد علي الخفاف ، ط1، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، بغداد ، العراق ، 2020، ص122و125و132

(13) نبيل رشاد سعيد ، دراسات انسانية ، ط1 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 2009 ، ص29 .

(14) محسن عبد الصاحب المظفر ، مصدر سابق ، ص13 .

(15) شاكر خصباك ، علي محمد المياح ، الفكر الجغرافي ، مطبعة بغداد ، 1981 ، ص15 .

(16) نعمان شحاده ، الاساليب الكمية في الجغرافية باستخدام الحاسوب ، ط، دار صفاء للنشر والتوزيع ، الاردن ، 1997، ص21 .

(17) صبري فارس الهيتي ، الفكر الجغرافي نشأته ومناهجه، ط1 ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، الاردن ، 2005 ، ص137.

(18) فتحي محمد ابو عيانه ، محمد خمس الزوكه ، فتحي عبد العزيز ابو راضي ، البحث الجغرافي منهاجه واساليبه ، ط1 ، دار المعرفة الجامعة ، الاسكندرية 2005 ، ص17 .

(19) روجر منثل ، تطور الجغرافيا الحديثة ، ترجمة: السيد غلاب ودولت احمد صادق ، مؤسسة شباب الجامعة ، القاهرة، 1996 ، ص45 .

(20) محمد ازهر سعيد السماك ، الفكر الجغرافي بين التراث المصرفي والجيومعلوماتية المعاصرة ، موسوعة السماك العلمية لإصدار الكتب الجغرافية ، دار ابن الاثير للطباعة والنشر ، الموصل ، 2012 ، ص135 .

(21) محمد ازهر السماك وعلي عباس العزاوي ، البحث الجغرافي بين المنهجية والتخصصية والاساليب الكمية وتقنية المعلومات المعاصرة ، ط1 ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، 2011 ، ص11 .

(22) صلاح الدين علي الشامي، الفكر الجغرافي في سيرة ومسيرة، منشأة المعارف للنشر والتوزيع ، الاسكندرية، 1980، ص14 .

(23) صلاح الدين علي الشامي ، الجغرافيا المعاصرة ، مصدر سابق ، ص73 و74 .

(24) صفوح خير ، مصدر سابق ، ص61 .

(25) محمد علي الفرا ، علم الجغرافية دراسة تحليلية نقدية في المفاهيم والاتجاهات الحديثة في البحث الجغرافي ، جامعة الكويت ، 1980، ص71 .

(26) محمد ازهر السماك وعلي عباس العزاوي ، البحث الجغرافي بين المنهجية والتخصصية والاساليب الكمية وتقنية المعلومات المعاصرة ، ط1 ، دار اليازدري العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، 2011 ، ص11 .

(27) المصدر نفسه ، ص10 .

(28) صلاح الدين الشامي ، الجغرافيا المعاصرة ، مصدر سابق ، ص78 .

(29) محسن عبد الصاحب المظفر ، مصدر سابق ، ص56 .

(30) المصدر نفسه ، ص61 .

(31) المصدر نفسه ، ص52 .

(32) صلاح الدين الشامي ، الجغرافيا المعاصرة ، مصدر سابق ، ص75 و76.

(33) صفوح خير ، مصدر سابق ، ص54 .

(34) احمد محمد عبد العال ، الجغرافيا على مر العصور ، ط1 ، مكتبة جزيرة الورد ، القاهرة ، 2011 ، ص241.

(35) هيلدبرت ازنار ، الحيز الجغرافي ، ترجمة محمد اسماعيل الشيخ ، مطبوعات جامعة الكويت ، الكويت ، 1994 ، ص36 .

(36) روجر مشتل ، مصدر سابق ، ص43 .

(37) محمد علي عمر الفرا، مناهج البحث في الجغرافيا بالوسائل الكمية، ط3، مطابع دار العلم ، بيروت ، لبنان، 1978، ص52 .

(38) ريتشارد هارتشون ، طبيعته الجغرافية ، ج2 ، ترجمة شاكر خصاك ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد ، بغداد ، 1976 ، ص58

.

DOI:10.52113/uj05/022-15/2395-2410

(39) شريف محمد شريف ، تطور الفكر الجغرافي ، ج1 ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص17 .

(40) محمد ابراهيم رمضان احمد ومحمد ابراهيم محمد شرف ، الاتجاهات الحديثة في الجغرافية التطبيقية ، دار المعرفة الجامعة للنشر والتوزيع ، الاسكندرية 2003 ، ص7 .

(41) محمد عبد الحميد الحمامي ، خصائص المنهج الجغرافي ، الكتاب الجغرافي السنوي ، السنة الاولى ، العدد الاول ، 1985 ، وزارة التعليم العالي ، المملكة العربية السعودية ، ص24 .

(42) بيتر هاجيت، الجغرافية تركيبة جديدة، ترجمة محمد السيد غلاب مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية، 1996، ص731.

(43) ت . و. فريمان ، الجغرافيا في مائة عام ، ترجمة : عبد العزيز طريح شرف ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1961 ، ص207 .

(44) محمد علي الفرا ، علم الجغرافية دراسة تحليلية نقدية في المفاهيم والاتجاهات الحديثة في البحث الجغرافي ، مصدر سابق ، ص58 و59.

(45) صفوح خير ، مصدر سابق ، ص57-59 .

(46) محمود محمد سيف ، اسس البحث الجغرافي ، ط1، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1998، ص24.

(47) محمود ابو العلا ، الفكر الجغرافي ، ط1، مكتبة الانجلو المصرية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1998، ص53.

(48) محمد دلف احمد الدليمي وفواز احمد الموسى ، جغرافية التنمية : مفاهيم – نظريات – تطبيق ، ط2، دار الفرقان للغات للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، 2009، ص16-17.

مصادر البحث

1. ابن دريد ابو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري ، كتاب جمهرة اللغة ، ج3 ، مادة (مكن)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، 1345هـ.
2. ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي ، كتاب العين (مادة مكن في الجزء الخامس)، تحقيق : مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، 1982.
3. احمد محمد عبد العال ، الجغرافيا على مر العصور ، ط1 ، مكتبة جزيرة الورد ، القاهرة ، 2011.
4. بيتر هاجيت ، الجغرافية تركيبة جديدة ، ترجمة محمد السيد غلاب مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، 1996.
5. ت . و. فريمان ، الجغرافيا في مائة عام ، ترجمة : عبد العزيز طريح شرف ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1961.
6. الجغرافية في دائرة المعارف البريطانية ، ترجمة : عبد علي الخفاف ، ط1، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، بغداد ، العراق. 2020.
7. حسن مجيد الربيعي ، نظرية المكان في فلسفة ابن سينا ، ط1، تقديم: عبد الأمير الأعسم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1987.
8. روجر منثل ، تطور الجغرافيا الحديثة ، ترجمة: السيد غلاب ودولت احمد صادق ، مؤسسة شباب الجامعة ، القاهرة، 1996.
9. ريتشارد هارتشون ، طبيعته الجغرافية ، ج2 ، ترجمة شاكر خصاك ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد ، بغداد ، 1976.
10. شاكر خصباك ، علي محمد المياح ، الفكر الجغرافي ، مطبعة بغداد ، 1981.
11. شريف محمد شريف ، تطور الفكر الجغرافي ، ج1 ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، بدون تاريخ ،
12. صبري فارس الهيتي، الفكر الجغرافي نشأته ومناهجه، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، الاردن ، 2005.
13. صفوح خير ، الجغرافية موضوعها منهجها واهدافها ، ط1، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 2002.
14. صلاح الدين علي الشامي، الجغرافيا المعاصرة، ط1، منشأة المعارف للنشر والتوزيع، الاسكندرية، 1987.
15. صلاح الدين علي الشامي ، الفكر الجغرافي في سيرة ومسيرة ، منشأة المعارف للنشر والتوزيع ، الاسكندرية ، 1980.
16. غيداء احمد سعدون شلال ، المكان والمصطلحات المقاربة له : دراسة مفهوماتية ، مجلة ابحاث كلية التربية الاساسية ، المجلد (11)، العدد (2)، جامعة ميسان ، 2011.

DOI:10.52113/uj05/022-15/2395-2410

17. فتحي محمد ابو عيانه ، محمد خمس الزوكه ، فتحي عبد العزيز ابو راضي ، البحث الجغرافي منهاجه واساليبه ، ط1 ، دار المعرفة الجامعة ، الاسكندرية 2005.

18. محسن عبد الصاحب المظفر ، فلسفة علم المكان (الجغرافيا) ، ط1 ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، 2005.

19. محمد ابراهيم رمضان احمد ومحمد ابراهيم محمد شرف ، الاتجاهات الحديثة في الجغرافية التطبيقية ، دار المعرفة الجامعة للنشر والتوزيع ، الاسكندرية ، 2003.

20. محمد ازهر السماك وعلي عباس العزاوي ، البحث الجغرافي بين المنهجية والتخصصية والاساليب الكمية وتقنية المعلومات المعاصرة ، ط1 ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، 2011.

21. محمد ازهر سعيد السماك ، الفكر الجغرافي بين التراث المصرفي والجيومعلوماتية المعاصرة ، موسوعة السماك العلمية لإصدار الكتب الجغرافية ، دار ابن الاثير للطباعة والنشر ، الموصل ، 2012 .

22. محمد دلف احمد الدليمي وفواز احمد الموسى ، جغرافية التنمية : مفاهيم – نظريات – تطبيق ، ط2، دار الفرقان للغات للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، 2009.

23. محمد عبد الحميد الحمامي ، خصائص المنهج الجغرافي ، الكتاب الجغرافي السنوي ، السنة الاولى ، العدد الاول ، 1985 ، وزارة التعليم العالي ، المملكة العربية السعودية.

24. محمد علي الفرا، علم الجغرافية دراسة تحليلية نقدية في المفاهيم والاتجاهات الحديثة في البحث الجغرافي ، جامعة الكويت ، 1980.

25. محمد علي عمر الفرا ، مناهج البحث في الجغرافيا بالوسائل الكمية ، ط3، مطابع دار العلم ، بيروت، لبنان ، 1978.

26. محمود ابو العلا ، الفكر الجغرافي ، ط1، مكتبة الانجلو المصرية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1998.

27. محمود محمد سيف ، اسس البحث الجغرافي ، ط1، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1998.

28. نبيل رشاد سعيد ، دراسات انسانية ، ط1 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 2009.

29. نعمان شحاده ، الاساليب الكمية في الجغرافية باستخدام الحاسوب ، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع ، الاردن ، 1997.

30. هيلدبرت ازنار ، الحيز الجغرافي ، ترجمة محمد اسماعيل الشيخ ، مطبوعات جامعة الكويت ، الكويت، 1994.

Geography and philosophy of spatial dimension

Ebthal Abd Ali Frhan

Abstract:

The research discusses the dialectical relationship between geography and the place, which is described as the intellectual container of space or spatial domain, The place itself is not a phenomenon, Rather, it is an intellectual framework and an abstract concept that does not really exist, Rather, it is related to our human sense, because we cannot perceive things unless they are biased in space and successive in time. The place consists of four dimensions symbolized by four variables (length, width, depth, and time). These dimensions are necessary to identify any geographical phenomenon, and the evidence for this is the reference of intellectual studies to geography as the science of space. The spatial view has existed since antiquity and is linked to it, despite its changing dynamics in content, goals and curricula, which were among the reasons for its development, but it did not prejudice its function and areas of interest. It is a conclusive guide towards understanding the spatial system and the

DOI:10.52113/uj05/022-15/2395-2410

spatial complex by geographers, and to give a clear and scientific idea to the geographers emerging from this philosophical dialectic, which became the goal of the research, which began with an introduction that contained the theoretical framework, Hence, the content included four topics, the first on the growth of philosophical thought of the place, and the second on the development of the idea of geographical territory, The third studied spatial processing in geographical studies, As for the fourth and last, it discusses spatial relations and regional development, The research concluded to multiple conclusions, the most important of which is that there is a strong relationship between geography and place because it represents the field or space in which the studied phenomenon is determined, Where geography finds itself in it with all its limits and its spatial and temporal relationships, and even its treatment of phenomena and its analysis is within the framework of the place with its four dimensions that any geographer must define to begin his study and reach hypotheses, then generalizations, then theories and perhaps he may reach laws.

Keywords: geography, philosophy, the spatial dimension